اولاده بالمبادلة حقوق الوفاء البنوية وكما عاش سعيداً شريفاً هكذا مات سعيداً شريفاً رحمه الله عداد مبراته وحسناته امين

مناعي آل الوطن في أثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ ضحايا الاتراك وشهداء حب الوطن (تتمة)

عزيز فيعاني هو عزيز ابن نعمه فيعاني . كان تخرّج في كليّتنا فامتاز بذكائه واجتهاده . ثمّ صار ترجمانا اوّل لقنصلاتو روسية الجنرالية في بيروت . فكانت رتبته هذه الداعي الوحيد لنفيه في اوّل الحرب بامر جمال باشا وانهاء بكر سامي بك . لكنّه امكنه ان يعود الى وطنه مرّة اولى من حلب ثمّ مرّة ثانية من الشام بالوسائط ودفع الغرامة حتّى نفي مرّة ثالثة مع شقيقه وديع افندي الى سيواس ومنها الى توقات فكانت هذه المشقّات مع سوء معاملة المأمورين الاتراك مدعاة لمرض التهاب الامعاء الذي أصيب به فأودى بحياته في غرّة حزيران سنة ١٩١٦ . وظنّ البعض انّه مات مسموماً . وكان المرحوم من رجال الجد والنشاط محبوبا من الجميع لطفه واستقامته

الياس الخوري مات منفيًا في حماة لما اصابه فيها من الضيق والكدر سنة ١٩١٧ . وكان اشتهر في التعليم في عدّة مدارس مباشرةً بالمدرسة الوطنيّة التي انشأها في بيروت بطرس البستاني ثمّ في مدرسة طائفته المعروفة بالثلاثة الاقمار . وتوفي اخوه جبران في ايّار ١٩١٨ وكان رسّاما ماهرا وحفّارا للصور حاذقا وكان كلاهما من افاضل الروم الاوثذكس

اسكندر صفا ومثل اغتالتهم حوادث الحرب المرحوم اسكندر صفا من اعيان دير القمر كان نفاه جمال باشا السفّاح الى الاناضول وبقي في النفي الى ان قهرت تركية وطلبت الهدنة فعاد الى وطنه عن طريق الاستانة فاصابه فيها مرض الحمى الاسبانيولية فتوفاه الله في اول شهر كانون الاول سنة ١٩١٨ متمما واجباته

الدينية في عمر ثلاث واربعين سنة . تولى رئاسة المحاكم في لبنان مدة طويلة في قضاء جزين وكسروان والمتن واظهر في كلها منتهى الاستقامة والذكاء والنشاط وكان ممتازاً في نزاهته وجرأته لا يهاب عند الحق احداً من اصحاب النفوذ حتى انهُ خالف رأي متصرفَيْن لبنانيَّيْن في عدَّة امور وأا توعَّدهُ واحد منهما لاستيائهِ من حكمهِ لم يبال بذلك الا انهُ اخيراً وثق بهِ جداً لما رآه من ثباتهِ وصلابته وكان على جانب من العلم بالشرع والقانون ويحسن من اللغات الانكليزية والفرنسارية والعربية بفروعها وله سعة اطلاع في الرياضيات لا سيما في الجبر

٣ الأدباء والصحافيُّون والكتبة

﴿ الشيخ شبلي نعمان ﴾ توفي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وله من العمر ٥٨ سنة . احد علماء المسلمين في الهند . وقد امتاز هناك بين مواطنيهِ ببلاغتهِ في الكتابة اشتغل اولاً بالتعليم في كليَّة عليكده ثمَّ ساح في البلدان فاتَّسعت افكارهُ وادرك ما يحتاج اليهِ الاسلام من الاصلاح فحاول ان يخرج مداركهُ الى حيِّز العمل فعُدَّ من زعماء المصلحين . ولم يثنِ عزمهُ ما وجدهُ من المعاكسة في تحقيق امانيه حتى نسبهُ البعض زوراً الى الالحاد . وقد ألَّف عدَّة كتب في الفلسفة والتاريخ واللغة في العربيَّة والفارسيَّة والهندية حال الموتُ دون نشر كثير منها

﴿ نقولا رزق الله ﴾ كان شاعراً مطبوعاً متفنناً غزير المادَّة تروى لهُ عدَّة منظومات حسنة . وقد نقل الى العربيَّة عدَّة روايات نشرها في مجلَّتهِ الروايات الجديدة . توفي في مصر في نيسان سنة ١٩١٥

﴿ خليل سركيس ﴾ من اكبر انصار الآداب وخدَمة الصحافة في بلاد الشام تشهد لهُ بذلك مطبعتهُ الادبيَّة التي انشأها ونشر فيها ما لا يُحصى من المطبوعات المفيدة في كلّ فنّ (راجع المشرق ٤ : ٢٢٤ — ٢٢٩) . وقد تولَّى نشر عدَّة جرائد ولاسيَّما جريدة لسان الحال الشهيرة التي خدمت الوطن باخلاص نحو ٤٠ سنة . وكان صاحبها قد تخرَّج في المدارس الاميركيَّة وتمذهب بمذهب اساتذتهِ لكنهُ بقي معتدل الخطَّة محباً للسلام مؤلَّفاً للقلوب . كانت وفاتهُ احدى آفات الحرب في ١٩ ايَّار ١٩١٥ ولد في عبيه من لبنان في ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٥٠ . وكبر المصاب على اسرتهِ

الكريمة بوفاة اختهِ ساره سركيس في يوم موت اخيها فدفنا في مشهد واحد (اطلب ترجمتهُ في تاريخ الصحافة العربيَّة للفيكنت فيليب دي طرَّازي ٢ : ١٢٩) . وللمرحوم عدَّة تآليف ما عدا كتاباتهِ في اللسان نخصّ منها بالذكر تاريخ القدس الشريف وكتاب العادات ورحلة امبراطور الالمانية وسلاسل القراءة . هذا فضلاً عن خدمهِ المشكورة لترقية الصناعة لاسيَّما الطباعة العربيَّة . وقد خوَّلهُ الله ولدًا يجري على آثارهِ في كلّ مزاياهُ الطيِّبة

﴿ عسَّاف بك الكفوري ﴾ ولد في كفر زبد من اعمال البقاع سنة ١٨٨٢ وتعلم في الكلية الشرقية في زحلة وعلم فيها وفي المدرسة العلمانية والكلية الاميركية في بيروت مدة اثنتي عشرة سنة وحضر دروس مكتب الحقوق الفرنسي . وكتب في كثير من المجلات وحرر المهذَّب وعرَّب ست روايات نصفها تمثيلية والف جملة كتب في الصحة والتاريخ والتعليم ونظم ديوانين واجاد في الخطابة والتمثيل . توفي في ٢٤ ك١ سنة ١٩١٥

﴿ الشيخ ابرهيم الحوراني ﴾ ولد في حلب سنة ١٨٤٤ ونشأ في حمص والشام وتعلم في مدرسة عبيه وجاء بيروت سنة ١٨٧٠ وعلم في كليتي الصبيان والبنات الاميركيتين وفي المدرسة البطريركية وحرر جريدة النشرة الاسبوعية وتولى تصحيح مطبوعات الرسلين الاميركان وعرب والف كتباً عديدة ناهزت الثلاثين نخص منها بالذكر ردَّهُ الحسن على مذهب دروين في كتابهِ المتون الحقّ اليقين في الردّ على بُطل دروين وترك ديوان شعر كبير نفيس وامتاز بالرياضيات واحكم عدة علوم . توفي في ٢ شباط سنة ١٩١٦

﴿ ابراهيم حادر ﴾ كانت وفاتهُ في ٩ ايَّار سنة ١٩١٥ في شيخوخة صالحة . من اكبر خدماتهِ لوطنهِ انشاؤهُ اوَّل مكتبة في بيروت دعاها بالمكتبة العموميَّة وذلك في السنة ١٨٦٣ ومع قلَّة بضاعته من الآداب في ذلك الوقت تمكَّن من جمع كتب عديدة ضاقت عنها مكتبتهُ . وكم نقَّبنا فيها فوجدنا من المطبوعات النادرة والمخطوطات الفريدة التي تزين مكتبتنا الشرقية . وقد احتفل بيوبيل المكتبة العموميَّة في السنة ١٩١٣ فطبع عدد خاصّ من قائمتها تذكارًا . كان المرحوم ابرهيم انيسا لطيف الطباع من اتقياء طائفتهِ واحد اعضاء اخويَّة الامّ الحزينة محسناً الى الفقراء ساعياً

في تهذيب الصغار ممتنياً بمأوى طائفته . خلفهُ في اشغالهِ ولداهُ الاديبان سليم افندي صاحب المكتبة العموميَّة ويوسف افندي منشئ المطبعة العلميَّة وكلاهما من الافاضل

﴿ رزق الله سركيس ﴾ كان ايضاً من الكتبيين النشطاء والساعين في تنشيط الآداب مع الاستقامة في المعاملات والاعتصام بعروة الدين الوثقى . توفي في ٦ آذار سنة ١٩١٦

﴿ امين الخوري ﴾ توفيَ في دمشق سنة ١٩١٦ مستخفياً من وجه الدولة العثمانية . درس مدَّة في كليَّة القديس يوسف ثمَّ انقطع الى الطباعة وشغل المكاتب مع اخيهِ خليل الذي كان اكبر منهُ سنًّا وارجح عقلاً . وقد نشر بعض المطبوعات المدرسيَّة بالعربيَّة والفرنسويَّة . ثم خلف اخاهُ في ادارة المكتبة الجامعة وباشر بطبع بعض الصحائف كدليل بيروت وجريدة العثماني . وسكن مدَّة في الاسكندريَّة فنشر فيها جريدة الاعلان . وكان خفيف العقل قليل التروّي انحاز مدَّة الى الماسونية مؤملاً منها خيرًا لكنَّهُ جحدها في ساعة وفاتهِ في مستشفى الراهبات الالمانيَّات حيث طلب من ذات نفسهِ كاهناً فتمَّم كلّ واجباتهِ الدينيَّة

﴿ دكتور شعيب ﴾ اغتالتهُ المنون وهو في زهرة شبابهِ في ١٢ تمّوز ١٩١٦ في دمشق الشام وكان ذهب اليها سعياً في امور مدرسة الثلثة الاقمار التي كان تولّى تدبيرها وكان المرحوم احد تلامذة مدرستنا الكليَّة ذا همَّة واقدام على العمل . لمَّا رأى ما صارت اليهِ المكاتب الوطنيَّة بصادرة الاتراك للمدارس الاجنبيَّة تحفَّز لمساعدة ناشئة طائفتهِ في مواصلة دروسهم واستدعى لذلك بعض الشبَّان الذين اقتبسوا العارم معهُ في كليتنا فنفخ في مدرسة الثلثة الاقمار روحاً جديدة جاء الموت فأخمدها

﴿ الدكتور غصن الحاوي ﴾ ولد في الشوير سنة ١٨٥٢ وخسر نظره في حداثته وسافر الى انكلترا متجاوزًا العشرين من عمره فتعلَّم في مدارس العميان اشغالهم واحكم اللغة الانكليزية ورجع الى سوريا فانشأ مدرسته في بيروت لحرومي النظر ثم عاد ودخل مدرسة ادنبرج الجامعة في بلاد الانكليز يتلقى دروسها بالسمع وشرع يلقي محاضرات اذاعت صيته في سكوتلندا وادَّى امتحاناً لدى مدرسة وسليان الجامعة ونال منها شهادة دكتور . وبعد ان قضى في كندا زهاء عشرة اعوام جاء لبنان وسكن بلدته الشوير وعاش فيها يخدم مذهب البروتستانت

وتوفي في ٢٢ تمّوز سنة ١٩١٦

﴿ الدكتور دانيال بلس ﴾ هو رئيس المدرسة الكلّيّة الاميركانيّة سابقاً ووالد المستر هوَرَد بلس الذي خلفهُ في منصب الرئاسة. توفي في ٢٨ تمّوز سنة ١٩١٦ وكانت السنة الخمسين لانشاء تلك الكلّيّة التي لهُ الفضل الكبير في تأسيسها وصار رئيسها الاوّل مدّة ٣٧ سنة (١٨٦٦—١٩٠٢) فادارها بحكمة وعزم. على اننا نأسف لكونها صارت مركزاً لبث الروح البروتستاني ونشر حرّيّة الافكار فكانت مقالاتها احد الدواعي لانشاء كليّتنا الكاثوليكيّة ومدرستنا الطبيّة . كان مولد الدكتور دانيال بلس سنة ١٨٣٢ وجمع في شخصه مجمل صفات الاميركيين من إقدام ونشاط وثبات على العمل رغماً عن تقلّب الايّام. وبينما نحن نحرّر هذه الاسطر اذ علمنا بكل اسف وفاة ابنه في اميركا فأُصيبت الكلية الاميركيّة بموته بضربة أليمة لما كان عليه هذا الفقيد من الصفات الحميدة والآداب وحسن التدبير . ألهم الله ذويه ومرؤوسيه تعزيةً وصبراً جميلاً

﴿ المعلم خليل الخوري سركيس ﴾ توفيَ المرحوم خليل في عبيه مسقط رأسه في ١٥ ت ١ ١٩١٧ وكان مدّة لا تقلّ عن عشرين سنة معلماً في المدارس الخارجيّة اللاحقة بكلية القديس يوسف ولهُ عدّة قصائد في الشعر الزجلي وقد اشتهر بتقواه وحسن تديّنه اذ خدم اخوية الام الحزينة في كليّتنا بصفة كاتم لاسرارها مدة ١٥ سنة . وهو شقيق المرحوم الخوري يوسف سركيس الذي اشتهر بتقواه وغيرته في بلدته عبيه وانشأ فيها اخوية الحبل بلا دنس للرجال والنساء. وتوفي في ٢٣ آب ١٩١٦

﴿ ظاهر خيرالله ﴾ هو الشيخ ظاهر خيرالله عطايا صايبا ولد في الشوير سنة ١٨٣٤ وبعد ان تعلّم مبادئ القراءة اشتغل بنا ١٢ عاماً ثم ذهب الى مدرسة عبيه بسن ٢٥ ولكنه لم يمكث متعلماً فيها الّا سنةً ونصف فأخذ يدرس لنفسه ثم علّم في كثير من مدارس سوريا الابتدائية والعالية وكتب في مدة صحف والف نحو اربعين كتاباً في الرياضيات واللغة والقواعد والدين بعضها جدليّا وكان يشتغل في المحاماة في خلال التعليم . توفي في بيروت في ٢٨ ايلول سنة ١٩١٦ . وقد قرأنا في المشرق عدّة تآليف من قلمهِ كلمحة الناظر في سلك الدفاتر ورسائله اللغويّة وكتابه الفريد المسمّى بالادلّة الغرّاء في سموّ شأن مريم العذراء. زيّف فيه المزاعم البروتستانيّة

باجلى برهان . وقد اوقفنا على كتابهِ الاخير في بتوليَّة القديس يوسف ردًّا على مطران ملَّتهِ السيد روفائيل هواويني في مجلَّة الكلمة وعلى بعض تآليف اخرى فريدة

﴿ حنَّا الخوري ﴾ هو حنَّا بن جبرائيل الخوري وشقيق خليل الخوري صاحب حديقة الاخبار . توفيَ في ٢٥ شباط ١٩١٧ . تولَّى مدَّة منصب قائمقام في الكورة وتعيَّن عضوًا لمجلس الاستئناف في بيروت . لهُ مقالات وخطب في جمعيَّة زهرة الآداب وفي الحديقة ولهُ منظومات ايضاً وقد اعتنى بجمع آثار اخويهِ خليل وسليم

﴿ نجيب غرغور ﴾ توفي في الاسكندريَّة بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٩١٧ بداء السكتة اثناء تأدية امور وظيفتهِ في ادارة البواخر الخديويَّة وعمرهُ ٥٤ سنة . كان من طائفة الروم الكاثوليك صادق الايمان . وكان منشئاً بليغاً خدم الصحافة في القطر المصريَّ سنين عديدة فحرَّر في عدَّة جرائد فصولاً مستحسنة . ومنها ما تولَّى انشاءهُ

﴿ محمَّد ابو عزّ الدين ﴾ من الطائفة الدرزيَّة . كان كاتبَ ضبطِ دائرة الحقوق الاستئنافيَّة في جبل لبنان ثمَّ تعيَّن رئيساً لمحكمة الشوف وكان من ادباء الوطن المعدودين . وقد نشرنا لهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٥٣٦) مقالةً حسنة تحت عنوان «شهيد العلم» . وكثيرًا ما راسل جريدة البشير وافاد القرَّاء عن احوال لبنان . توفيَ في آذار سنة ١٩١٧

﴿ المعلِّم ناصيف الزغزغيّ ﴾ توفَّاهُ الله في شهر ايَّار من السنة ١٩١٧ في حمَّانا وكان في اول الحرب يعيش معتزلاً في وطنهِ فالوغا ومات خاملاً بعد ان علَّم في مدرستنا في بكفيَّا نحو خمسين سنة فتخرَّج تحت يدهِ عدَّة احداث اشتهروا بعد ذلك في انحاء الشام وفي مصر واميركا عرفوا لهُ فضلهُ في تهذيبهِ لعقولهم واثنوا على طيب عنصرهِ وخلالهِ الطيِّبة وكانت وفاتهُ وفاة الابرار بشفاعة سيِّدة النجاة التي كان رئيساً على اخويَّتها مدَّة سنين عديدة . وقد راسل جريدة البشير عشرات من السنين ولهُ فيها مقالات مفيدة

﴿ الشيخ حمزه فتح الله ﴾ توفي ضريرًا في السنة ١٩١٧ . وهو احد ادباء القطر المصريّ كانت الحكومة عيَّنتهُ مفتِّشاً على المدارس الوطنيَّة . قد خلَّف عدَّة تآليف نثرًا ونظماً فضلاً عمَّا نشرهُ من المقالات في جرائد الاسكندريَّة

﴿ علي ابو شوشة ﴾ من ادباء تونس انسس سنة ١٨٨٧ اوّل جريدة هناك بعد الجريدة الرسميّة المعروفة بالرائد التونسيّ فاقبل عليها الناس بعض الاقبال . توفي سنة ١٩١٧

﴿ فتح الله الجاويش ﴾ نُجبت به الآداب في ٦ تمّوز ١٩١٨ . فكان لنعاه رنّة أسف في طائفته وبين كلّ معارفه لما اشتهر به من حسن الاخلاق وسعة العلوم والاستمساك بحبل الدين . خدم وطنه في عدّة مهمّات باخلاص وعزم اقرّ لها كلّ رؤسائه . وكان كاتباً ضليعاً نشر عدّة مقالات في الجرائد الوطنيّة استحسنها القرّاء . وكان يجاهر بمبادئه الدينيّة لا تأخذه فيها لومة لائم . ولمّا تطاول على الدين المسيحيّ الشيخ يوسف النبهانيّ تصدّى له علانيةً وافحمه قدّام كلّ جماعته فالزموه السكوت . ولفتح الله مخطوطات مهمّة في التاريخ والآداب أظامنا عليها ونتمنّى ان لا تبقى محجوبة في زوايا النسيان . وله ايضاً قصائد وتواريخ شعريّة

﴿ بشير رمضان ﴾ كان من ادباء المسلمين في بيروت يحرّر في مطبعة الولاية . ولمّا أعلن الدستور سنة ١٩٠٩ انشأ مجلة الكوثر فأودعها عدّة فصول ومقالات حسنة . ومن آثاره منتخبات شعريّة وقصائد من نظمه . توفي سنة ١٩١٨

﴿ الشيخ اسكندر العازار ﴾ من ادباء الروم الاورثذكس واحرار الكتبة ولد في بيروت في ١٧ ك ١ سنة ١٨٥٥ وكان ابوه متولّياً ادارة مطبعة القديس جاورجوس فنشأ على حبّ الآداب ودرس في عدّة مدارس وانهى دروسه في مدرسة الاميركان في عبيه فتشرّب روح معلّميه ثم انحاز الى المارونيّة فكان احد اعضائها العاملين الى ان عرف دهاءها فانقلب عليها وصار يجاهر بسبّها وملامتها وعارض جرجي سرسق في تمثيل اليهودي التائه . واشتهر بالكتابة فحرّر المقالات المستملحة في عدّة جرائد وخصوصاً في جريدة التقدّم مع اديب اسحاق فدخل كلاهما في الجدال مع جريدتنا البشير دون الحياد عن آداب البحث لولا انبرا دافعا عن مبادئ مخالفة لروح الدين . وقد انتهت تلك المناقشات بتعطيل الحكومة لجريدة التقدّم ثمّ نبضت وكبت مرارًا حتّى توارت من عالم الصحافة . وبقي الشيخ اسكندر مواظباً على تعزيز آرائه السياسيّة والاجتماعيّة رغماً عن معاكسة الدولة العثمانيّة التي لم تكن تنظر بعين الرضى الى مبادئه الحرّة . وكان فكه الروح في كتاباته متفنناً في اساليبه يتقرّب

في البعض منها الى اللهجة العامّيـة كخواطره « ترلي ترلي » وفكاهاته المنونة « بخواضر البيت » . ولهُ نظم حسن يسمى بجمعهِ مع خطبهِ الاديب الهمام جرجي افندي نقولا باز . توفي الشيخ اسكندر في ١٤ ك ٢ ١٩١٩

﴿ نجيب البستاني ﴾ هو ابن بطرس الكاتب واللغوي الشهير . كانت وفاتهُ في مصر في ٣٠ نيسان من العام الماضي ١٩١١ وكان مولدهُ في ٧ ك ١ سنة ١٨٦٢ . درس الادب على ابيهِ وعلى اخيهِ سليم وحرّر عدّة مقالات في الجنّة والجنان حتّى صار اليهِ امتيازهما بعد وفاة اخيهِ سليم سنة ١٨٨٤ . وكان ساعد اباهُ في تأليف دائرة المعارف وخلفهُ في مواصلة نشرها . ثمّ عكف على القضاء وتولّى في لبنان رئاسة محكمة المتن في ايّام نعُوم باشا ثمّ منصب المدّعي العمومي الى ان قصد مصر واحترف فيها بزاولة فنّ المحاماة الى آخر حياتهِ . وقد حاز عدّة اوسمة من دول شتّى وخصوصاً وسام القديس غريغوريوس من لاون الثالث عشر بعد ارتداده عن مذهب ذويهِ البروتستاني

﴿ صموئيل يني ﴾ من ادباء الروم في طرابلس الشام جارى اخاهُ جرجي افندي وشاركهُ في انشاء مجلّتهِ المباحث . ولهُ ما عدا ذلك جملة آثار كتابيّة . توفّي في العام المنصرم في طرابلس . وفيها توفّي في ٢٥ ك ٢ من هذا العام صحافيّ آخر محمّد كامل البحري صاحب جريدة طرابلس . ومؤلف اخبار سياحة باشرها الى بعلبك وجهات الشام

﴿ يوسف خطّار غانم ﴾ كانت وفاتهُ في ٢٠ آب ١٩١٩ . كان من اسرة قديمة ورُلد هو في شيخوخة والديهِ سنة ١٨٥٧ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت ثمّ ثبت على ملازمة الدرس والقراءة حتّى اصبح كاتباً خليعاً وشاعراً مجيداً فحرّر عدّة فصول في كثير من صحف الشام ومصر ونظم قصائد عديدة كان يتفنّن في وضعها . وكلّ يعرف برنامجهُ باسم اخويّة القديس مارون طبع جزءاً منهُ في مطبعتنا الكاثوليكيّة اودعهُ شيئاً كثيراً من اخبار طائفتهِ الجليلة ورؤسائها ومشاهيرها . ثمّ توقّف عن نشره لضيق ذات يدهِ . وانّا نال من فضل الكرسي الرسولي عدّة اوسمة وامتيازات ورتبة كاقليرجزاء لخدماتهِ . ولولا بعض التطرّف في احكامهِ وبعض الهوَس في عقلهِ لَعُدّ من افاضل كتبة عصرنا

﴿ قيس لبكي ﴾ كان مهاجراً الى اميركا محرّراً في جرائد البرازيل في سان

باولو وغيرها . وقد عُرف هناك بتطرّفه وتحامله على الدين ففندنا في المشرق غير مرّة مزاعمهُ . وكذلك لصديقنا الاديب شكري الخوري منشئ ابي الهول ردود عليهِ في كتابهِ القنبلة الصغيرة . توفيّ بداء القلب في ٢٩ ت ٢ ١٩١٩

﴿ رشيد بك الرامي ﴾ توفيّ في ١٦ ك ٢ ١٩٢٠ عن ٤٨ سنة كان متضلّعاً من العلوم القانونيّة عُهدت اليهِ عدّة مراكز في سلك العدليّة في لبنان وفي الولايات . وبعد الحرب تعيّن كمبعوث لبنان . وكان رشيد بك متديّناً تقيًّا دمث الاخلاق

﴿ نعمان قساطلي ﴾ كانت وفاته في شباط الاخير ١٩٢٠ . وهو من أدباء الشام ألّف كتاب الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء .

ومات غير هؤلاء الادباء ممّن لم نقف لهم على تاريخ كتامر افندي ملّاط رئيس محكمة كسروان البدائيّة والشاعر المُجيد . وكريانا مرّاش في حلب . وعقل مشعلاني في مكسيكو

هذا وكم فُقد في اوربّا من العلماء في اوان هذه الحرب المشؤومة . نكتفي بان نورد هنا اسماء بعض المستشرقين الذين خدموا بلادنا بتآليفهم النفيسة . ففي السنة ١٩١٥ في ١٨ شباط مات في ساحة الشرف جان مسپرو الذي جرى على آثار أبيهِ في العلوم المصريّة القديمة والبوزنطيّة . وتوفيّ ابوهُ غستون بعدهُ في ٣٠ حزيران ١٩١٦ ولهُ من الشهرة في التآليف الهيروغليفيّة والاكتشافات الاثريّة ما لم يَنَلهُ غيرهُ — وفي ٢١ شباط ١٩١٥ خسرت الآداب الكتابيّة احد اساطينها الاب ڤيكورو صاحب معجم الكتاب المقدّس ومؤلف كتب عديدة في الاسفار المقدسة وكان عالماً باللغات الشرقيّة وتشرّفت بلادنا بزيارتهِ — وفي ٢ تمّوز من السنة مات في الحرب الكومندان كروس الذي تولّى حفريّات تلّو في العراق = وممن توفي في ١٩١٦ غدفريد كورث احد كبار المؤرخين البلجكيين والكاثوليكيين الصادقين مات في ٤ ك ٢ — وتوفي في ١٧ نيسان منها اوغست بَرث الشهير بالعلوم الهنديّة . ثم ايڤان تولستوي احد المستشرقين الروسيين (٤ حزيران) . ثمّ مادام جان ديولافوا السائحة الشهيرة الى انحاء الشرق والكاتبة الممتازة في آثار العجم وتواريخها والمرافقة لزوجها في كلّ اعمالهِ الادبيّة (ايلول) . ثمّ المستشرق الطائر الصيت ملكيور دي ڤوكويه ذو المآثر المتعدّدة (١٩ ت ٢) . ثمّ الكاتب البليغ پول آلار مؤلف تواريخ الاضطهادات النصرانيّة (ك ٢)

= وفي السنة ١٩١٧ رُزيت الاداب الشرقيّة بوفاة منشئ المجلّة السامية يوسف هالوي (٢١ ك ٢) . ووفاة المستشرق الطباع ارنست لاروو (Ern. Leroux) (٢٠ ايار) . ووفاة الاثريّ المصريّ جورج لوغرين (G. Legrain) (آب ١٩١٧) . ومات سنة ١٩١٨ في ١٤ منها الاثري لميل غيمه (Em. Guimet) . ومات في المانية المستشرقون مرتين هرتمان كنشلبار فنصليّة بيروت سابقاً وج . برث ناشر ديوان القطاميّ . وفلهوزن صاحب التآليف الشرقيّة المعتبرة وغيرهم ايضاً

٤ الاطباء والصيادلة

الدكتور جوزف سكي ✠ فقد الحلبيّون هذا الطبيب النطاسي في ٩ شباط سنة ١٩١٦ وكلهم يذكرونهُ بالخير . كان نمساويًا وتوطّن حلب زمناً طويلًا فربح شكر اهلها عموماً بخدمهِ الصادقة التي ادّاها الى الجميع على اختلاف مللهم واديانهم وبالخصوص الى الفقراء الذين كانوا يلتجئون اليهِ ويعرفون نزاهتهُ ورقّة قلبهِ يعالجهم مجّاناً ويصرف من مالهِ عليهم . وكان للمرحوم مركز ادبيّ ممتاز في الشهباء ومنزلة عليا بين الخاصّة والعامّة يتناصرون في اطراء مناقبهِ وحسن صفاتهِ . هذا فضلًا عن مجاهرتهِ بعبادتهِ الدينيّة وحفظهِ لوصايا الكنيسة الكاثوليكية بكل تدقيق

الدكتور يوسف بك الرامي ✠ ولد في قالوغا سنة ١٨٥٦ وتعلم في مدرستي غزير والتين وذهب الى الاستانة فدرس في المكتب الاعدادي استعداداً للطب ودخل المكتب الطبي العسكري وقبل نيله شهادتهُ تعيّن معاوناً لمعلّم التشريح وبعد الشهادة علّم ٣٤ سنة في مكاتب الطب العسكري والملكي والصنائع النفيسة . وجاء الى بيروت عشر مرات مع اللجن العثمانية لتفحص تلاميذ مدرستي الفرنسية والاميركية الطبيتين مرةً منها فقط غير رئيس . وكان عضواً في مجلسي الصحة العمومي والمعارف الطبية ومن اركان مؤلفي دائرة المعارف التركية . والف عدة كتب وطبع بعضها بلغة الترك ونال ستة اوسمة وثلثة انواط وبلغ رتبة امير الاي واحيل على التقاعد فاستمرّ في لبنان وتوفي في بيروت في ٢٦ ك ١ سنة ١٩١٦

الدكتور شبلي شميّل ✠ كان بودّنا ان لا نذكر هذا الرجل الّا بالخير وفيهِ ما فيهِ من الالمعيّة والذكاء والعلم باصول الطبّ والمعارف الاصليّة الّا انهُ شوّه ذكرهُ

بانحيازه الى المذهب الداروني والى اقوال الماديين والملحدين وكان يجاهر بذلك وكتب عدة تآليف لتأييد تلك المبادئ الوخيمة فجعلها عثرة في سبيل الشبيبة حتى ان اصحاب المقتطف مع جنوحهم الى آرائه ردّوا عليه في بعض اعداد مجلتهم كما اشرنا الى ذلك في المشرق سابقاً . وقد تعجّب صاحب المنار الاسلامي (١٩ : ٦٢٥) من سكوتنا عن الدكتور . لكنّ جريدتنا البشير كانت فنّدت آراءه . وكذلك ردّ حضرة الخوري جرجس فرج صفير في كتاب اصل الانسان والكائنات سنة ١٨٩٠ على ما نشره من تعاليم بخنر في مذهب التطوّر والتحوّل . ومثله فقيد الادب ابراهيم الحوراني . ويا ليت الدكتور شبلي سار على آثار اخيه المرحوم امين . كانت وفاته في غزّة السنة ١٩١٧

﴿ مراد بك البارودي ﴾ اختارته المنيّة في ١٥ شباط سنة ١٩١٨ . فعمّ الاسف جميع معارفه لما ازدان به شخصه من الخلال الطيّبة فكان رَيض الاخلاق رَحب الجنان متحنّناً على الفقراء كثير الادب ذا معرفة واسعة بامور الصيدلة وكان محبّاً للآثار القديمة يبذل في جمعها مالاً جزيلاً ومثلها المخطوطات الشرقيّة القديمة . كان الفقيد تخرّج في الكليّة الاميركانيّة فعدل عن طائفته الاورثدكسيّة ودان بالبروتستانيّة . ومات بعده باسبوع عديله المهام امين عبد النور افندي بسقوطه في بئر كانوا يخرجون منها الفحم رحمهما الله

﴿ الدكتور سليم جلخ ﴾ ولد في قصبة بعبدا في ١٠ ك ١ سنة ١٨٥١ ثمّ توطّن بيروت مع اهله سنة ١٨٦٠ ودرس في مدرسة عينطوره (١٨٦٤) ثمّ في المدرسة البطريركيّة (١٨٦٩) وبعد ان تعاطى مدّةً اشغال والده الدكتور يوسف بشاره الجلخ دخل الكليّة الاميركانيّة سنة ١٨٦٨ ونال شهادتها سنة ١٨٧٣ واضاف اليها في الاستانة اجازة المكتب الطبيّ السلطاني وكان تعيّن قبلها طبيباً لبلديّة صور وفي عجلتون ثمّ في بيروت . وقد خدم حيثما حلّ مواطنيه بنشاط ونزاهة وقد اشتهر بحنانه على مرضى الفقراء . وكان في اوّل امره يميل نوعاً الى افكار اساتذته الحرّة ثمّ لم يلبث أن تأصّل بدينه . ففي سنة ١٨٨٥ سعى مع بعض اصحابه بانشاء الخوريّة القديس مارون وترأسها مراراً وأسّس سنة ١٨٩٦ مع المرحوم نجيب حبيقة وجناب المحامي انطون بك شحير جمعيّة اخوة الفقراء المارونيّة . وكان عضواً من

اخوية الحبل بلا دنس ومشتركاً بجمعيّة مسار ماجور دي پول . ولهُ عدّة آثار ادبيّة وطبيّة منها كتابهُ صحّة الاطفال وخطب ومقالات مختلفة في المجلّات والجرائد توفي في ١٣ ايّار ١٩١٩

﴿ الدكتور رشيد شكر الله الحاو ﴾ هو ابن المرحوم الطبيب اسعد بطرس شكر الله الذي خدم ابناء وطنه بعبدا احسن خدمة وكان درس الطبّ على نفسه وحذقهُ بالعمل ومثلهُ اخوهُ المرحوم الصيدلي انطون الذي اسس سنة ١٨٥٩ الصيدليّة الشرقيّة في بيروت فخلفهُ في اشغالهِ انجالهُ الدكتوران الياس وجورج والصيدليّ بطرس الذين يعرف الجميع فضلهم . وقد امتاز المرحوم رشيد مثلهم بحذقهِ في مهنتهِ وبتديّنهِ . ومن آثاره اعتناؤهُ مع مواطنيهِ بترميم كنيسة بعبدا القديمة وتشييد كنيستها الجديدة سنة ١٩٠٩ . . وكان شديد التقى يحضر كلّ يوم الذبيحة الالهيّة . وقد ذكرنا في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٥٢٦) تاريخهُ لعائلته . توفي في كانون الاول ١٩١٩ عن ٦٩ سنة بعد صبرهِ عدّة سنين على مرض مزمن

﴿ الدكتور حسين بك حيدر ﴾ من اسرة آل حيدر الشريفة في بعلبك المعروفة بمروّتها وكرمها . درس في مكتبنا الطبيّ الفرنسويّ ونال شهادتهُ . ولمّا اعلنت الدولة العثمانيّة بالحرب وجّهت نيّتها الى التنكيل بآل حيدر لميلهم الى الدولة العربيّة وفتكت بالبعض منهم ونفت البعض لكن القسم الكبير منهم تصدّوا للظالمين واذاقوهم وجنودهم الامرّين فخرجوا من قتالهم فائزين بعد ان وقع بعض ابطالهم في ساحة الوغى ومن جملتهم الدكتور حسين بك حيدر وذلك في اواخر الحرب العموميّة (راجع تاريخ العصر الدموي لناصيف بك ابي زيد ص ٢٠٢)

وقد ذهب في هذه الحرب الاخيرة عدد وافر من الدكاترة المتخرجين في مكتبنا الطبيّ شهود محبّتهم لوطنهم في خدمة العسكر العثماني في ساحة الحرب او في المستشفيات نخصّ منهم بالذكر ابرهيم معربس في حملة السويس (١٩١٥) والياس عرمان في فلسطين (١٩١٦) وناوفيل ذبّانة في الشام (١٩١٦) ومنصور الخازن في بعلبك (١٩١٦) ومسعد كرم في برابك (١٩١٦) وفريد حرفوش في الحجاز (١٩١٧) واسكندر مرقّده في عقفوله (١٩١٧) وعبد المجيد حماده في بيروت (١٩١٧) والامير شامل شهاب وجورج سمعان وانطون ذبّانه ولا نعلم في اي تاريخ

اما تلامذة المكتب الطبي الارمن فآثر الاتراك التنكيل بهم ظلماً بدلاً من الانتفاع من خدمتهم فقتلوا الدكاترة ثاهان برونفرتيان في ديار بكر (١٩١٥) واخاه الياس في قراسند (١٩١٥) وسورين نشانيان في قيصرية (١٩١٥) ومهران كتشيان واخاه جورج في آطنة (١٩١٦) وطوروس بابيان في طرابزون (١٩١٧) وميناك بانوسيان في طوقات (١٩١٧) ودغران بوتوكيان في سيواس (١٩١٧) وثاهان قرتنيان في سيواس ايضاً (١٩١٨) ودغران سرايدريان (١٩١٨) ونشان دير ڤهران ناهضيان في خربوط وبلتزار قرتنيان في سيواس وكتشادور بسطرجيان في ملاطية. فدماء هؤلاء الابرار قد جرت هدراً ويا ليتها سُفكت في خدمة الوطن. ولعلها سُفكت بغضاً بالدين فكانوا شهداء ايمانهم

ونضيف الى هؤلاء المذكورين الدكاترة المرحومين رشيد بريدي (١٩١٥) وحبشي (آذار ١٩١٧) ومنصور سوداء (١٩١٨) وصعب ملّاط (١٩١٨) ونخله مدوَّر (١٩١٨) واسعد شيبان (١٩١٨) وعبد الرحمان الاني (١٩١٩) والياس الحاج (١١ آذار ١٩٢٠). والصيدلي اسكندر الحلو (٢٧ ك٢ ١٩١٩). رحمهم الله جميعاً

٥ الاتقياء وارباب البر

هذا الباب واسع فان كثيرين من ذوي البرّ والتقى انتقلوا الى جوار ربّهم في هذه السنين الاخيرة لا يسعنا ذكرهم بل احصاؤهم فنكتفي بالنزر القليل

ڤ ناصيف عكيرة ڤ توفي يوم سبت الآلام سنة ١٩١٥ ودُفن مساء عيد الفصح كأن الربّ اراد ان يشركه بموته وقيامته بعد عيشته الصالحة التي قضاها في كلّ اعمال البرّ حتى انّ مرشد ضميره اكّد انه لم يفقد طول حياته براءة معموديته. ولد ناصيف في اواخر سنة ١٨٥٨ ورضع التقوى مع حليب والدته القديسة ثم دخل اخويّة الامّ الحزينة في زمن المرحوم الاب حنّا فيوروڤيش فصار عميدها الاشدّ وسندها الاكبر مدّة نحو اربعين سنة مضحّياً نفسهُ في خدمة ابنائها الروحيّة والماديّة. وهو في الوقت عينه مثال حيّ في ممارسة كلّ الفضائل المسيحيّة عائشاً في العالم عيشة اتقى الرهبان في اديرتهم لا يفوتهُ شيء من كلّ الاعمال المبرورة النافلة من صوم

وصلاة واعمال تقوية فضلاً عن الواجبات الدينية اللازبة . ولعلنا نعود الى ذكره ونفرد له ترجمة خاصة ان شاء الله

﴿ جرجي يوسف اجيا ﴾ كان في حلب عمدة كل الاعمال الخيرية والتقوية كناصيف عكرة في بيروت . ولد في ٦ ك ٢ سنة ١٨٤٩ وتوفي في ٧ آذار ١٩١٩ . سبعون سنة لم يخلُ فيها يوماً عن بعض المبرات . تعشق الشغل منذ حداثة سنه لكنهُ مارسهُ بروح التقوى والاستقامة التامة . ولم يجترئ بترتيب امور بيته وتربيته بنيه الصالحة بل قدَّم نفسهُ طوعاً لمؤازرة اكليروس طائفته السريانية وخدمة الآباء الرسلين في كل مشروعاتهم الدينية كالاخويات والجمعيات الخيرية والسجود الليلي للقربان الاقدس وتلقين الاحداث مبادئ الدين واجتذاب العلة الى العيشة الفضلى التي كان هو مثالها الحي الى آخر نسمة من حياته

﴿ نخله شكري ﴾ هو نخله بن بطرس شكري كان رئيساً لاخوية القديس يوسف واخوية الجبل بلا دنس المارونيتين وقد وضع لذلك كتاباً دعاهُ الايضاحات الوفية في واجبات الاخوية . وكان عريقاً في الدين كثير التقوى والصلاح ذا غيرة مشكورة في خدمة الجمعيات الخيرية . وقد احسن ادارة الاوقاف في كنيسة مار مارون . توفي في ايار ١٩١٩

وكان بودنا ان نذكر كثيرين ممن عرفناهم وكانوا بصلاحهم وتقاهم ومبدآتهم قدوة لمواطنيهم لولا صعوبة الحصول على آثارهم كبشاره جاهل وابرهيم عورا ونقولا نحاس من الروم الكاثوليك وعبدالله غانم وطنوس الحلو (٢٠ ت١ ١٩١٥) والياس برتي من جزين (٢ شباط ١٩١٨) . وجان ابيلا (ت ١ ١٩١٦) وجرجي شيحا (٢٥ ك ١ ١٩١٧) واسكندر شيحا (١٩١٩) من اللاتين . وابرهيم حداد الارمني (١٢ آذار ١٩١٨) وانطون سابكي (٢٣ آذار ١٩٢٠) ومثلهم بعض عملة مطبعتنا كنعوم عقل (١٩١٨) وجبران دكاش (٣ ك ٢ ١٩٢٠) . رحمهم الرب واثابهم ثواباً جزيلاً

* اصلاح غلط * وقع في هذه المقالة بعض اغلاط نورد إصلاحها هنا :
ص ٨٤ س ١٩ مولد المطران بولس مسعد في ٦ ك ١ لا ك ٣ — ص ٢١ سامتهُ في ١٨٨٩ لا ١٨٧٩ — ص ٣٥ كتاب التحفة الغراء ليس لهُ بل للبطريرك بولس مسعد = ص ٨٧ س ١٥

المسيو يوسف العلم تلميذ مار عبدا ليس عين ورقة = ص ٣٨٦ س ٢٠ كانت وفاة الشيخ عبد الرحمان الحوت في ٨ آذار ١٩١٨ ليس ١٩١٧ = ص ٣٨٧ س ٩ اصل جرجس مسؤول من بيروت لا من حاصبيا ولم يدخل في خدمة الامير بشير وانما كان من افاضل الوطن = ص ٣٨٨ س ١٢ وفاة جبران فرح في ٣٣ ايار لا نيسان = ص ٣٨٩ س ١٧ وفاة اسكندر مسك سنة ١٩١٩ لا ١٩١٨ = ص ٣٩٠ س ٥ قتل المرحوم يوسف الحاني في ١٩١٦ لا ١٩١٥ — س ٢٢ كان مؤتمر باريس العربي سنة ١٩١٣ لا ١٩١١ = ص ٣٩١ س ٢ الامير عمر هو ابن الامير عبد القادر لا حفيده — س ١١ قتل محمد المحمصاني سنة ١٩١٥ = ص ٣٩٢ س ٢٢ حبيب دوناتو كان ماروناً وتوفي في قلعة حلب . والمقتول في نفق الكنيسة الحديدية هو توفيق عبدالله بدوي

العقوبة عند البدو في سوريا

بقلم الاديب ميشال شبلي احد طلبة الحقوق

ما من شيء ينمُّ عن عوائد الاقوام ويدلّ على اخلاقهم وطباعهم ونوع معيشتهم وبالجملة على حياتهم الاجتماعية مثل الحقوق المتبعة والقوانين المرعيّة عندهم . ولذا كان من اهمّ ما يعتمد عليه المؤرخون ويدرسهُ علماء الاخلاق والاجتماعيات في كتاباتهم عن احوال شعبٍ ما الحقوق التي يستنير بها ذلك الشعب والقوانين التي أجمع افرادهُ على الخضوع لها

ذلك لأنَّ القانون هو ثمرة التقاليد التي كوّنتها الاجيال في العقول وهو زبدة الاعتقادات التي انتمَّ بها الشعب في اثناء اجتيازه القرون . فاذا رأينا بين رجال التاريخ مَن أطلق عليهم لقب المُشترِع فلا يجب ان نفهم بذلك انهم هم الذين وضعوا الشريعة بل ان ما عمله ليس هو الّا جمع العادات وضبطها لان القوانين والشرائع كانت منذ كان الانسان ألوفاً يعيش العيش الاجتماعي مع بني جنسه

وقد بلغ اليوم الانسان في الامم الحديثة مبلغاً من الرقي وما جمعه القوانين وتسطيرُها وتحويرها الدائم بنوع يلائم الحالة الاجتماعية التي بلغ اليها الّا شاهدٌ من الشواهد على فطرته الاجتماعية

فلا عجب اذا اذا رأينا كلَّ شعب خطا في سبيل حياته الى الأمام حريصاً على ضبط نظاماته حسب روح التمدُّن الاجتماعي الحديث . وبما ان الانسان اين كان على سطح الغبراء هو أهلٌ إن قُيِّضت له سلطةٌ شرعية منظمة وقُدّر له حال الأمن

والرغد أن يسير في طريق الرقي الى آخر أشواطه وجب علينا ان نقول اذاً ان الشعوب والاقوام التي لم تزل نراها في عصرنا هذا في طور الحداثة نظراً لقوانينها واعتقاداتها وعاداتها بالنسبة الى الامم الحديثة الراقية ان ليس هناك عجزٌ وخمولُ طبيعة بل ان هناك اسباباً أثرت على العقول فأوقفت تلك الاقوام عن السير الى الامام خلال الاجيال

اجل اننا لا نتمالك نحن ابناء هذه البلاد السورية من النظر بمرارة وأسف الى اطراف البلاد فنرى فيها اقواماً من البدو بل ومن الحضر ايضاً لم يزالوا في حالة الانسان الفطرية وفي الحالة التي كان عليها اجداد الامم الحديثة منذ عشرات الاجيال . وقد كان الأولى بنا نحن في هذه البلاد ان يكون لنا ما نُباهي به ونُفاخر من قوانين تكون مثالاً للأمم وبلادنا كانت مهبط الشرائع والقوانين الالهية ومَنبت اعظم علماء الشريعة في التاريخ وحسبي ان اذكر پاپينيانوس وقد قالوا عنه انه اعظم علماء الرومان في الشريعة على الاطلاق . وهو سوريّ الاصل ومثلهُ مُواطنهُ اولپيانوس وهو يضارعه علماً وشهرةً تاريخية

وبعد وقوع الفتح الاسلامي لم تكن سورياً عقيمة في انتاج العقول الكبيرة لدرس الشريعة والفقه كفى دليلاً عليه الإمام الشافعي احد ائمة الاسلام الاربعة الكبار هو سوريّ والامام محمد الشيباني من اعظم اصحاب ابي حنيفة هو سوريّ وأجتزئ بهذا كيلا يطول بي المجال

ولكن ان توقفت سوريا عن الرقي ويشهد بتوقفها ما بقي بين سكان اطرافها من الفرق والعادات التي تشين الحقوق الحديثة فما كان ذلك الّا لأسباب اراني في غنى عن ايرادها . وقد نسي الماضي بما لنا من الأمل في المستقبل

اما الآن فما كنت لأتعمد سوى لمحة مجملة عمّا عند اولئك الاقوام من بدو وحضر في اطراف سوريا من عوائد لم تزل منذ اجيال الانسان الأولى وخصوصاً عمّا يتعلّق منها بالعقوبة محاولاً على قدر استطاعتي بعض المقابلة مع ما كانت عليه تلك العوائد ذاتها عند الشعوب القديمة . ولست اتطرّق الى ما عندهم من عوائد اجتماعية وشرائع مدنية قد يكونون متبعين فيها شريعةً مسطورة أخذ معظمها ولا ريب عن الشرائع القديمة واخصّها الرومانية

ناهيك مثلاً عما عند اهل البادية بشأن الزواج وهو عقد مدني : فليس عندهم شيء معيّن يؤهل لعقد الزواج (١

وقد كانت هذه حالة الشريعة الرومانية في طورها الاول حيث كان رئيس العشيرة هو الذي يتحقق فعلاً بلوغ طالب الزواج

(قطعة مشطوبة في المراقبة عن الطلاق في البادية ومعارضتها على الشريعة الرومانيّة)

***

اما العقوبة وهي الهدف الذي توخيته في كلامي فقد كان للاب الفاضل الخوري بولس سلمان فضل كبير بوضعه مسهباً في اعداد المشرق الاخيرة عوائد البدو في تلك الاطراف . فانه يسد فراغاً كبيراً في دروسه احوال سكان تلك البلاد . لانه قبل ذلك كان على السوري مثلاً ان يعتمد في درس اخلاق وعادات اهل بلاده الى ما كتبه ويكتبه الرحّالة والجوّابون من الاجانب

وجلُّ ما تعمدته الآن ان اذكر ان كل ما هنالك من عوائد وشرائع منقولة

(١) ذكر ذلك الاب حوسين في مجلة الشرق المسيحي L'Orient Chrétien, 1910, P. 593)

انما هي في الحالة الفطرية لم تزل في عصرنا هذا عند الاقوام التي لم تشعر بتيار التمدن الحديث بل ضربت الاجيال حولها سوراً لا يزول الا مع الاجيال

ان بعض العادات مثلاً ان هناك اصطلاحات حسنة فما هي كذلك بالنسبة لغيرها بل بالنسبة لما هو عليه مجموع تلك العوائد . فان قلنا مثلاً ان القاضي لا يسوّف ولا يماطل في اصدار احكامه فذلك حسن بل واجب في مجتمع كذلك المجتمع اذ ليس عنده من يزوّر البيّنات والوقائع والمحاكمات فيُخشى اذ ذاك من نسيان القضية او ضياع الشهادات ولكن ذلك ليس بأفضل من التأني قبل اصدار الاحكام لتتضح الحقيقة بأبهى جمالها سيما اذ لا يُخشى من نسيان القضية وموت الشهود وقد أودعت شهاداتهم السجلات

ومثل ذلك قولنا ان الرواة لهم فضل في حفظ تاريخ شعب ما . ولكن لو كان ثمّت تاريخ مسطور لكان افضل واثبت . فبعدم كتابة التاريخ صار للرواة فضل

ولا يخفى ان الشريعة عند الاقوام المتأخرة انما تكون مقتضبة مختزنة بمبادئ اوّلية . ذلك لانه لا حاجة ماسّة فيها التوسع لضيق معارف تلك الاقوام ولعدم حاجتهم لشريعة ضافية البنود والموادّ اذ قد يكون عادة بين الافراد عندهم عقود والتزامات وأخذ وعطاء كما في المدنيات الحديثة

ولهذا فاننا نرى ان ما يحتاج اليه الانسان في الحالة الفطرية يكون : اولاً الانتقام الشخصي . وثانياً الدفاع عن مقتناه ضد السارق . وفي خلال كلامنا عن ذلك سنقول كلمة عن القاضي والشهود عند البدو وكل ذلك بالايجاز حسب الامكان ومقتضى الحال

اولاً : (الانتقام الشخصي) ان سنة القوة هي اول ما بدت في المجتمع الانساني حتى خالها البعض من النواميس الطبيعية فقالوا لا بدّ من سيادة القوي على الضعيف . ولكن اذا قبلنا بهذا فمن يكفل للضعيف كيانه ؟ ومن يضع الحد لتغطرُس القوي الّا تلك السلطة العمومية وهي شرعية كانت منذ كان الانسان عائشاً بين امثاله

فمن المحال اذاً ان تسود سلطة القوي وهي تبدو خلال الانتقام الشخصي مع وحدة السلطة العمومية التي لا بدّ لها من ان تكون قوية معزّزة . فاذا تطاول القوي

وتمادى في غيه على سيادة السلطة العمومية افضى الامر الى الفوضى والفوضى من امراض الاقوام القتالة

ان البلاد المتمدنة في عصرنا هذا تأبى سوى سيادة السلطة العمومية مع تساوي الافراد امام قوانينها . ولكن الامم الحديثة لم تتوصل الى هذا الا بعد ان اجتازت الاطوار المختلفة . وفي درسها يمكننا ان نرى في اي طور فطري لم يزل الاقوام في اطراف سوريا عائشين

ان الانسان كان هدفاً دائما لمطامع غيره من بني جنسه فان لم يكن ذا قوة تؤتي ذوي الحقوق حقوقهم استسلم المرء للانتقام لذاته حسب ما تمكنه قوته وحالته

ففي الطور الاول من تاريخ الانتقام كان لمن أصيب بالضرر الحق بان يفوق سهام انتقامه على من اصابه بذلك الضرر او على ذوي رحمه وقرباه ان اراد . وكان يوسع كل فريق ان يستعين بذويه فتنشب الحروب وتسيل الدماء الى ان يكون صلح بين الفريقين يُعقد بالمال والعدية . وهل اصل الحروب غير ذلك ؟ ولا يخفى ما في هذا الانتقام الشخصي من الاضرار وقد لا تحصى :

(فاولاً) قد يكون الانتقام هائلاً لا يقف عند حدّ . وقد يكون احياناً اخرى اخفّ من الجريمة لعجز المنتقم

(وثانياً) عدم تمكن كل انسان من الاثئار لذاته فيضيع حقهُ احياناً اذ لا سلطة تذود عنه

(ثالثاً) قد يصيب الانتقام شخصاً بريئاً من ذوي قربى المجرم وهذا يأباه العدل والضمير

وفي الطور الثاني لمّا رأى المتحاربون ان الامر ينتهي بهم الى دفع الغرامة اتفقوا على ادائها دون خوض الحرب . فكانت الجريمة يعادلها مبلغ من المال

وفي الطور الثالث ظهرت السلطة ببعض القوة فعيّنت مقدار الغرامة تعويضاً لكل جريمة وجناية واوجبت على المجرم دفعها وظلّت تكتسب توسيعاً في صلاحيتها حتى كان لها في الطور الرابع الحق العمومي في كل حادث يخل براحة الهيئة الاجتماعية

اما عند سكان اطراف سوريا من بدو ورحل فقد شاع الانتقام الشخصي

ويخال انه لم يزل في اطواره الاولى بل اشدّ ضررًا فقد جاء (١ ان اهل المقتول لهم الحق بقتل القاتل او احد اقاربه وإلحاق الضرر به بذبح مواشيه واتلاف حاصلاته . ولكن دون الحق باستحلالها . فيبدو لنا ان هذا التحفظ الاخير هو اشدّ ضررًا بالمجتمع من اباحة سلبها واستحلالها . لان باتلاف مال المجرم ضررًا لاحقًا به وخسارة على المجتمع لم تسلّم بها شريعة

نعم انه يجوز لا بل يجب طلب الدية وثمن الدم وهذا بالحقيقة تعويض عادل عن الخسارة التي تنجم عن الجرم . ولكن ما يعمله اولئك الاقوام من اتلاف مال المجرم هو مناف للمنفعة العمومية وللصواب وللعدل وللضمير

والعرب يعدّون الانتقام ليس فقط جائزًا تدفع اليه الحاجة بل يحسبونه " من النواميس الشريفة ويقرّبونه من الفرائض الضرورية المقدسة " (٢ فهم لم يزالوا اذًا في حالة العشائر القديمة قبل ان بلغت في الغرب بفضل الكنيسة والتعاليم الدينية . الى حالة تطمئن لها القلوب والعواطف الانسانية من تخصيص العقاب مثلًا بالمجرم وتهذيبه في زمن انزال العقاب به . وعدم الحكم عليه الا بما ينصّ عليه القانون استدراكًا الخ . الخ .

وعند قبائل البدو رُبَّما هُدر دم الاجنبي . ولا عجب فذلك طبيعي في مجتمع لا سلطة عمومية فيه بل يسود فيه الانتقام الشخصي . والغريب الاجنبي ليس لهُ من احد يطالب بدمه

(ثانياً القاضي) ان القاضي عندهم يتوصل الى منصّة الحكم والقضاء بذات الطريقة التي كان يتوصّل بها القضاة عند القبائل القديمة . فالحقوق عندهم محتكرة في قوم يتوارثونها . وقد جاء في المشرق في تعريف قاضي العرب" انهُ امير من امرائهم يُعرف بتوقد ذهنه وسرعة خاطره والقاضي يرث الحكم بعد ابيه"

وهذه كانت الحال عند الاقوام الاقدمين فقد كان القاضي عند الرومان كبير عشيرته وقائدها يوم الوغى ورئيسها الديني . ومثلهم قضاة بني اسرائيل . وانهُ لكذلك عند العرب فهو الامير السائر في طليعة الخيل يوم تدقّ طبول النزو . وهو الرئيس

١) الشرق المسيحي سنة ١٩٠١ ص ٥٨٧

٢) راجع المشرق ج ٢ ص ١٠٠

الديني ولا غرو فان الاعراب يعدُّونه كذلك وهم « يعتبرون بيته مقدساً ». (المشرق ١٧ : ٥٨٤)

ولربما انهم يعتقدون ان علمه بالغ الكمال لكونه الرئيس الديني ولانه حسب اعتقادهم متَّصف بقدرة عجيبة يستدلّ على ذلك من قولهم عند طلب الحكم : « ما قول القاضي في شيء مبين عليه وعلي غبي » ولهذا فانهم لا يرافعون في المحاكمة بل هي طريقة التحكيم بنوع ما . تلك الطريقة التي كانت شائعة عند الاقدمين وخصوصاً الرومان وانما يجب عليهم ان يخضعوا لها لانهم كما اشرنا قد يعتبرون قول القاضي كفصل الخطاب

ويسود في طلب الحكم عندهم التقيُّد بعبارات مخصوصة والسير في طرق كرَّستها الايام وهذا ما يدعونه : le formalisme . وذلك شأن كل الاقوام الذين لم يدركوا من الحقوق معناها الواسع

وللقاضي كما جاء في المشرق راتب محدود لكل دعوى يحكم بها . وهذا الراتب هو ما يتقاضاه ظاهراً على ما اظنّ . وهذه العادة بتقاضي مبلغ عن كل دعوى قد كانت عند القبائل القديمة واستمرَّت حتى الاجيال الوسطى فكان الملك يتقاضى بصفته القاضي الاكبر مبلغاً عن كل دعوى هو ما يدعونه : le fredum

(ثالثاً الشهود) . اما الشهود فجدير بنا ان نقول دون ادنى تردّد ان الشهادة وتأديتها هي عند تلك الاقوام في الحالة الفطرية حقّ . والشهادة عندهم ولا ريب هي لإثبات كل دعوى مدنية او جزائية مهما بلغت . ولا عجب فلا يمكن في مثل مجتمعهم الّا الاعتماد عليها

ولكن لمّا كانت تلك الطريقة في الاثبات مفعمة بالخلل من ايجاد شهود كذبة عمدوا الى تحليف الشهود . ولكن قد يكون في الحلف ايضاً اخفاء للحقيقة فلم يروا افضل من استعمال الامتحانات (١ كبلع الحديد المحمي وغيرها وهي ما يقال له : ordalies

فلا اخال اذاً كما جاء في المشرق ان شهادة الزور داخلة على العرب من عهد قريب اذ لو كان ذلك حقّاً لمّا عمدوا الى استعمال الامتحانات . ولا اخال كذلك ان

١) المشرق ١٧ : ٥٨٧

القسم والحلف هو عندهم « من ارهب الامور واقدسها » بل اني لأحسب الواحد من اولئك البدو يحلف بالله مرارًا كل يوم ولأسباب قد لا تكون داعية . وعليه قد اضحت الامتحانات كبلع النار وشرب السم « في نظر البدوي اكبر شهادة حتى المتبعة بالقسم »

فنرى اذًا ان استعمال الشهود وما ينجم عنه من شهادة الزور افضى الى استعمال بلع النار وامتحانات أخرى . فعلّق عليه البدو الاهمية وخالوه اكبر مظهر للحقيقة

اما استعمال هذه الامتحانات فقد شاع عند الشعوب البربرية خصوصاً عند قبائل الجرمان وظلّوا بعد اكتساحهم الامبراطورية الرومانية يعمدون اليها غالباً وقد تسرّب بعضها الى الاجيال الوسطى فقامت الكنيسة الكاثوليكية بتعاليمها المهذّبة الآئلة للتمدن تعمل لاستئصالها والتاريخ شاهد على انها تمكنت من ذلك . والنور لا غرو يبدّد الظلام

١ رابعاً السرقة) ان اول ما يستلفت النظر في امر السرقة عند البدو هو الايجاب على السارق بدفع المسروق مربعاً (١ . ومن الغريب ان نرى هذه القاعدة بدفع المسروق مربعاً لم تزل سائدة في اطراف الشرق ولعلّها من بقايا الشريعة الرومانية التي جُمعت في بيزنطية على عهد يوستينيانوس وعُمل بها دهرًا في مملكة الشرق الرومية ذلك لان الشرع الروماني في آخر اطوار تكوُّنه (٢ اوجب دفع المسروق مربعاً (٣

واني لاجتزئ بما ذكرت من امر العقوبة عندهم واراني بعد هذا في غنى عن ان اردّد ايضاً ان الحقوق عندهم والعقوبة على الاخص لم تزل في الحالة الفطرية لا شبه ولا قياس بينها وبين ما توصّل الى وضعه الانسان المتمدّن . وما عوائدهم في حياتهم الاجتماعية والدينية الّا من بقايا الاعصار القديمة ايضاً . فعندهم تكاتُف افراد العشيرة على الغزو بينما قد توصل الانسان المتمدن في عصرنا الى معنى التكاتف على الخير ليس

---

١) Rev. Orient Chrét, 1901, p. 529

٢) Dans l'Edit du Préteur

٣) وفي السرقة عندهم قاعدة تشذ عما اجمعت عليه قوانين الجزاء الحديثة فانه عند البدو اذا قتل صاحب الخيمة السارق الذي دخل خيمته ليلًا يلتزم صاحب الخيمة بدفع الدية . مع ان قانون الجزاء العثماني مادة ١٨٧ والقانون الافرنسي مادة ٣٢٩ تحتم دم السارق ليلًا

في الامة والشعب فقط بل يبغي نطاقاً اوسع . وما تمسكهم بمذهب على ما يخال عن حب التعبد بقدر ما هو من قبيل العادة فقد جاء عن احد مشايخ بني صخر (١ انه كان صائماً رمضان فاصابه حادث كسرت به يده . فقدم على صيامه ولم يعد منذ ذلك الحين يقوم بواجب الصيام

وما اشبه هذا بما كان من اعتقادات الاقدمين الدينية فقد اخبر الشاعر اوريبيد اليوناني وهو من اهل القرن الخامس قبل المسيح ان اليونان الاقدمين عندما كان يصيبهم فشل في حرب كانوا يعودون على آلهتهم باللوم والتعنيف على سوء قيامهم بما يتوجب عليهم من الذود عن الحمى . وقد كان يبلغ بهم ذلك احياناً الى نقض الهياكل او رميها بالحجارة حنقاً

اذا قلنا بعد هذا ان الاجيال العديدة تفصل بين التمدن الحديث وبين ما هي عليه حالة بعض الاقوام في اطراف سوريا فلا ينتج من قولنا انه علينا ان ننتظر عمل الاجيال فيهم وفينا لنبلغ الى حيث ما نصبو من الرقي . بل بوسعنا ان نغتنم التمدن بوقت اقصر وذلك مع مساعدة حكومة راقية قديرة لان من اسباب تأخرنا في العهد المنصرم ما كان من تأخر وانحطاط الحكومة الماضية . ولن تلبث تلك الاقوام ولا ريب بعد ان يستتب الامر للحكومة الراقية فيستتب بذلك الأمن والراحة . لن تلبث ان تسير في سبيل التقدم وبذات الفعل تتحول وتتحور عوائدها وشرائعها وتتنظم وتتكمل مع تقادم الزمن ولا غرو

اجل لا يمكن ان يكون لشعب نظام الا حسب اخلاقه وطباعه وقد سأل احدهم سولون المشترع اليوناني عما اذا كان يحسب انه سنّ لاثينا اصلح الشرائع وأعدلها . فاجابه سولون لا بل اني اخال ان الشرائع التي وضعتها هي الاكثر موافقة ومناسبة الان . وقد قال هيرودوت المؤرخ ان سولون كان يتمنى ان تثبت شرائعه عشر سنوات على الاقل بدون تغيير . ذلك لانه كان يرى ان التقلب والتطور مما من طبيعة المجتمع البشري واول ما يبدو تأثير ذلك التطور يكون في النظامات والقوانين

(١ Orient Chrét 1901, p. 602

فاذا كانت الحقوق عند قبائل سوريا الداخلية لم تزل في طور نشوئها فلا بد من ان تسير الى البلوغ بعد ان ذرّ قرن هذا العصر الجديد . واذا قيل ان ما عندهم من الشرائع المنقولة هو طبقاً لاحتياجاتهم فيجب ان نعلم ان الشريعة البشرية ليست فقط لراحة واسعاد المجتمع الحاضر بل هي الطرائق المؤدية والمؤهلة للبلوغ الى كمال الاعمال البشريّة . وانما قد يُعاب على تلك الاقوام ليس اتّباعها الآن تلك الشرائع والعوائد الفطرية . بل وقوفها جامدة في اثناء الاجيال . بل وقوفنا نحن ايضاً ونحن في بلاد هي مهد المدنيّة الشرقيّة القديمة ومنبت علماء الحقوق وصلة التعارف بين الشرق والغرب

فالأمل كبير في المستقبل . كبير بمساعدة الدولة الكريمة التي اخذت على عهدتها تمدين هذا القطر . فيكون يوم يعمّ به التقدّم سوريا كأمّها فلا يعود فيها قبائل تمثل حياة الانسان في اجياله الاولى . وعلينا نحن من جهة ثانية ان ننهض بذواتنا فنختبر كل شيء قبل او نندفع في اتباعه فلا يكون في حياتنا وعوائدنا ومجتمعنا كلّه الّا كلّ ما هو صالح وبذلك تقتنى لنا الشرائع الصالحة . ولا يكون ذلك الّا اذا كنا نريد

اعظم طامّة في الحرب العامّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربية للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : الدول الاتفاقية (تابع)

٤ سربية

معلوم انّ سربية احدى الدول البلقانيّة تجاور النمسة شمالاً وغرباً وتركيّة جنوباً وشرقاً . فكان موقفها بين دولتين معاديتين يعرّضها لأعظم الاخطار وهي دولة صغيرة لا يكاد عدد اهلها يتجاوز مليونين ونصف مليون من النفوس . منهم نحو ٦٠٠،٠٠٠ في عاصمتها بلغراد ومساحتها اقلّ من ٥٠٠،٠٠٠ كيلومتر